(٥) ان حب الرفاه واطلاب الراحة وغلبة الجبن في البواعث الكبرى على ذلك التقليل عند فريق من الناس غير قليل ان لم نقل عند الاكثرين

هذا والمفكر الحكيم بعد الوقوف على ما مرَّ في شأن هذا التقليل لا يرتضي منهُ مجرد وقوعهِ وتحقيق تعليلهِ بل لا بدَّ ان يعرض لهُ فيهِ سؤالان خطيران استيفاء لبحث واتماماً للفائدة وهما : (١) ما هو مبلغ تقليل النسل من صحة الداعي اجتماعياً واقتصادياً وادبياً . (٢) هل من وسيلة يا ترى عند اساطين الحكمة يتلافى بها وبال هذا الشر عند من يحسبونهُ شراً

متري قندلفت

لورد اڤبري

وهو السر جون لبك

نعت المجلات العلمية والجرائد السياسية المالي الشهير والمصلح الكبير والعالم المحقق والسياسي المدقق لورد اڤبري المعروف باسم السر جون لبك توفي في الثامن والعشرين من شهر مايو الماضي عن ٧٢ سنة قضاها في خدمة العلم والعمران

الذين طالعوا المقتطف من اول نشأتهِ سنة ١٨٧٦ الى الآن رأوا فيهِ اسم السر جون لبك ثم لورد اڤبري مزاراً كثيرة كادم للعلوم الطبيعية والادبية صادق الخدمة دقيق البحث كثير التآليف . وقد لا يعلم كثيرون منهم انهُ لم يكن استاذاً من اساتذة العلم ولا كان البحث العلمي شغلهُ الذي انقطع لهُ بل كان مالياً مديراً لبنك كبير ورثهُ من ابيهِ ولهُ في الاشغال المالية شأن عظيم لا يقل عن شأنهِ في الاشغال العلمية ان لم يكن اعظم منهُ . وهو من رجال السياسة ايضاً خدم بلادهُ في مجلس النواب ثلاثين سنة ولهُ اليد الطولى في سن القوانين الآيلة الى راحة مستخدمي البنوك وكل العمال وفي اصلاح بعض الشؤون المالية . ولم يخرج من مجلس النواب الاَّ حينما لُقب بلورد اڤبري ونُظم في سلك الاشراف

كان ابوهُ السر جون ولم لبك رئيس بنك و برتس وليك وكان ايضاً من الكتَّاب الذين يشار اليهم في العلوم الرياضية والفلكية ولهُ كتاب في القمر وكتاب في اضطراب السيارات وكتاب في المد والجزر وكتاب في علم المرجحات ونحو ذلك من الكتب العلمية التي يستشهد بها حتى الآن ولذلك فالمترجم ورث العلم او المَيل اليهِ وراثة

ولد في الثلاثين من ابريل سنة ١٨٣٤ . وتلقى المبادئ العلمية في مدرسة خصوصية

السر جون لبك في كهولته

لورد اثبري في شيخوخته

ثم أرسل الى كلية ايتن وعمره احدى عشرة سنة ولكنه لم يترك فيها الا ثلاث سنوات لان شريك ابيه مرض مرضاً شديداً فخاف ابوه ان يتوفى هو وشريكه قبل ان يتدرب ابنه على ادارة البنك فرضه فيه ودربه على ادارته واشركه معه وعمره ٢٢ سنة ولذلك فما حصله من العلم لم يحصله في مدرسة جامعة بل في جمعيات لندن العلمية وحسب تلك الجمعيات معهداً علمياً أن كان بين اعضائها امثال فراداي وأرن وليل ومرتنسن واري وهرشل وهوكر وتندل وهكسلي وسبنسر وملس ورمزي وبرستوش وداروين وكلهم من العلماء الذين ألف قراءه المقتطف اسماءهم

ولم يكد ينتظم بين ارباب البنوك حتى جعلوه سكرتيراً لجمعيتهم ثم رئيساً لها ورئيساً لغرفة التجارة ثم خلف لورد روزبري في رئاسة المجلس البلدي . واقام من سنة ١٨٧٠ الى ١٨٨٠ نائباً عن مقاطعة مادستون في مجلس النواب . وانتخب غيره للنيابة عنها سنة ١٨٨٠ فتألفت لجنة في مدينة لندن انتظم فيها داروين وهكسلي ولبك وسكس مار وتندل ورشحته نائباً عن جامعة لندن فانتخب لها واقام نائباً عنها الى سنة ١٩٠٠ . وتمكن وهو في مجلس النواب من جعل المجلس يقرر ٢٩ قانوناً جديداً وهذا ما لم يستطعه احد قبله وكان عضواً في لجنة تقدم المعارف ولجنة المدارس العمومية ولجنة سك النقود ولجنة التعليم ورئيس كلية العمال وجمعية توسيع التعليم بجامعة لندن وجمعية علم الحشرات وجمعية ليذوس والجمعية الانثروبولوجية والجمعية الافريقية وجمعية علماء العاديات والجمعية اليكرسكوبية والجمعية الانثروبولوجية والجمعية الاحصائية ومجمع تقدم العلوم البريطاني

وقد ترجمنا خطبته الاولى في مجمع تقدم العلوم البريطاني التي القاها فيه حينما رأسه في اواخر سنة ١٨٨١ ونشرناها في مقتطف فبراير ومارس وابريل سنة ١٨٨٢ وموضوعها تقدم المعارف في خمسين سنة وطبعنا عليها حواشي كثيرة اتماماً للفائدة وقد بدأها بتقدم علم البيولوجيا . وهاك بعض ما ذكره في هذا الباب

البيولوجيا [1]

قال بعد المقدمة : كان الرأي العام منذ خمسين سنة ان الحيوانات والنباتات ظهرت الى الوجود في الصورة التي نراها فيها الآن . وكان الناس يرون جمالها ويعرفون شيئاً من طبائعها ولكنهم لم يفهموا منها اكثر من ذلك كما ان الناظر الى كتاب مكتوب بلغة لا يفهمها بحروف مذهبة ونقوش بديعة يسر برؤيته ويعجب من بديع نقشه ولكنه لا يفهم شيئاً من معناه .

(1) علم ذوات الحياة بنوع عام

اما الآن فقد اخذت تباشير الحقائق تنير معمّى كتاب الطبيعة وصرنا نعرف ان لكل اختلاف في هيئة الموجودات وجرمها ولونها ولكل عظمة وريشة بل شعرة منها معنى من المعاني . وصرنا ندرك بعض هذه المعاني ايضاً وكنا حللنا قضية انجلت لنا قضايا الله وافيد من القضية التي حللناها . وممن لهم اليد الطولى في هذا التغيير العظيم ابنُ وطننا الشهيرُ دارون[٣] وان العلم ليذكر دائماً السنة التاسعة والخمسين بعد الالف والثماني مئة للميلاد التي خرج فيها كتابهُ المعنون «باصل الانواع» . وقبل ذلك بسنة كان دارون وولس[٤] قد نشر كلٌّ منهما مستقلاً عن الآخر رسائل صغيرة بيّنا فيها مبدأ الانتخاب الطبيعي[٥] . ولا عجب اذا كانت آراء دارون قد لاقت مقاومين اشدّاء عند اول ظهورها فانها قد صادفت مع ذلك انصاراً اقوياء في هذه البلاد مثل هوكر وهكسلي وهربرت سبنسر . اما مذهب دارون فينطوي على اربع قضايا

الاولى ان ليس في الدنيا حيوانان ولا نباتان متماثلين في كل شيء

الثانية ان الولد يميل ان يرث مزايا والديهِ

الثالثة ان قليلاً من الموجودات يبقى حيّاً حتى يبلغ اشدَّهُ

الرابعة ان الكائنات الحية الموافقة للاحوال التي هي فيها اكثر من غيرها في الاولى بإخلاف النسل

ولما شرع دارون في عملهِ اخذ يبحث عن اسباب الاختلاف بين الحيوانات ومقدارهِ وعن اصل التباينات[٥] في الحيوانات الداجنة . وبيّن عدم امكان التمييز بين التباينات والانواع واظهر الفرق العظيم الذي احدثهُ الانسان في تباينات نوع واحد كالفرق بين تباينات الحمام وكلها من نوع واحد . واطال الكلام في ما سمّاهُ الجهاد لاجل حفظ الوجود[٦] الذي ينجم عنهُ بقاء الاصلح للوجود وتأهيل كل جنس من الحيوانات للاحوال التي يقع فيها

ولم ينسب الى الانتخاب الطبيعي فعلاً يفعلهُ وحدهُ دون غيرهِ من الاسباب وان يكن قد بيّن ان لهُ فعلاً كبيراً جدًّا بل سلّم ان هنالك اسباباً اخرى تفعل معهُ مثل استعمال

(٣) هو تشارلس دارون ولد سنة ١٨٠٩ وهو الذي فصل مذهب تسلسل الحيوانات بعضها من بعض وقدّم الادلة الكثيرة على اثباته حتى صار ينسب اليهِ

(٤) عالم انكليزي شهير بين علماء الطبيعة

(٥) يراد بهِ ان بعض الحيوانات والنباتات تناسبها الاحوال اكثر من غيرها فتختلف تبعاً اكثر منها

(٥) يراد بالتباينات ما نسبتهُ الى النوع نسبة النوع الى الجنس كالكلب السلوقي بالنسبة الى نوع الكلب

(٦) المراد ان كل كائن حي يحاول ان يعيش بكل وسيلة ممكنة له ولو اضرّت غيرهُ

الاعضاء واهمالها والانتخاب الجنسي[٧] . ولما التفت الى الصعوبات التي تحول دون اثبات مذهبه نسب عدم وجود الثبانات المتوسطة بين الانواع الى عدم كفاءة المعارف الجيولوجية وهذا اكرر ما قالهُ في مكان آخر وهو ان الاعتماد على فقدان الحلقات بين الانواع لنقض مذهب دارون لاعتماد فاسد لان الذين يعتمدون عليهِ اذا وجدوا الحلقات بين نوعين عدوهما نوعاً واحداً . مثال ذلك ان الكلب وابن آوى يحسبان الآن نوعين مختلفين ولكن اذا كشفت حلقات متوسطة بينهما يُعدّان نوعاً واحداً لا نوعين . لذلك لا يمكن ان توجد حلقات بين نوعين ويبقيان نوعين لانهُ حالما تكتشف الحلقات يتحد النوعان ويصيران نوعاً واحداً . والحق ان كل نوع مؤلف من حلقات متشابهة تشابهاً شديداً

والمبادئ المعتمد عليها في تقسيم الحيوانات آخذة بالاقتراب من مذهب التسلسل[٨] وصار البيولوجيون يحاولون ان يرتبوا الحيوانات على ما يسمى بالنظام الطبيعي فما من أحد يضع الآن الحيتان بين الاسماك ولا الخفافيش بين الطيور ولو خالفوا بذلك المشابهة الظاهرة حتى قال دارون ان الطبيعيين يطلبون تعميم مذهب التسلسل وهم لا يشعرون والاَّ فكيف نفسر تماثل العظام في يد الانسان وجناح الخفاش ويد الفرس وزعنفة الدرفيل واتفاق عدد الفقار في رقبة الزرافة والفيل

وقد جاء علم الامبريولوجيا[٩] بادلة قوية لاثبات مذهب التسلسل ومن هذه الادلة وجود الاعضاء الاثرية[١٠] مثل الاسنان التي تكون في فك العجل ولكنها لا تشق لثتهُ ولا تظهر ومثل الاجنحة العديمة الفائدة في بعض الخنافس والشرابين التي تكون في اجنة الانواع العالية من ذوات الفقرات مماثلة للشرابين التي تكون في الاسماك[١١] ومنها وجود الرقط في فراخ الشحرور والخطوط في اشبال الاسد ونحو ذلك مما يستدل منهُ على ان هذه الآثار هي آثار اسلاف الحيوان التي تظهر فيهِ

---

(٧) يراد بذلك اختيار الاناث لبعض الذكور على البعض الآخر او اختيار الذكور لبعض الاناث

(٨) المراد به تسلسل الحيوانات والنباتات من اصل واحد او من اصول قليلة بفعل العوامل الطبيعية بها

(٩) علم الاجنة

(١٠) آثار في بعض الحيوان والنبات تقابل بعض الاعضاء في حيوانات ونباتات اخرى فيظن انها كانت اعضاء ثم زالت بعدم استعمالها او غير ذلك ويقي اثرها

(١١) هي الشرايين التي يظهر فيها الدم في خياشيم السمك

ولم يزل كثيرون يسيئون فهم آراء دارون فيقولون انهُ يفتح منها امكان صيرورة الظروف ثوراً والجمل ان دارون لا يذهب الى امكان استحالة الواحد الى الآخر مطلقاً بل الى ان لكليهما اصلاً واحداً

وما من احد يسعهُ ان ينكر مقدار الرغبة الشديدة في درس التاريخ الطبيعي التي كان دارون سببها وعدد الآراء التي فتح لها بابًا فاننا كنا نعرف منذ صغرنا ان الغر مرقط والبر مخطط والاسد مصفر ولكن لم يخطر لنا ان نسأل عن سبب ذلك حينئذٍ ولو سألنا ما وجدنا مجيباً . واما الآن فصرنا نعلم ان خطوط البر تشير الى سكناهُ الآجام وصفرة الاسد الى قيامهِ في صحاري الرمال ورقط الغر الى جلوسهِ تحت الاشجار التي تخرقها اشعة الشمس فترقط الياءها رقطاً كلونهِ . وقد بيَّن وَلس ان ذلك يصدق على الطيور ايضاً لان المفتوحة الاوكار منها قاتمة اللون لكي لا ترى . وبيَّن وَلشمن ان ذلك يصدق ايضاً على الديدان فانها تشبهُ بما تسكن فيهِ وبيَّن بايتس انهُ يصدق ايضاً على الفراش . انتهى

وهذه الخطبة طويلة وكلها على هذا النسق من الانسجام ووضوح المعاني وقوة الادلة العلمية وهي خير مثال لاسلوب الفقيد سيء الانشاء وقد راعينا فيها الاصل الانكليزي على قدر الامكان . ويظهر منها ايضاً ان الفقيد كان من انصار دارون القائلين بقولهِ . ولقد كان دارون استاذهُ في البحث العلمي لانهُ اغراهُ بهِ وهو فتى صغير السن فنشأ عليهِ وتعرَّف بكبار العلماء الذين ذكرناهم آنفاً فزادهُ تعرُّفهُ بهم رغبة في البحث والتحقيق وألف الكتب العلمية المتعة . ومن اشهرها كتاب العصور السابقة للتاريخ وكتاب اصل العمران وكتاب النمل والنحل والزنابير وكتاب اصل الحشرات وتحولها وكتاب مشاعر الحيوان وكتاب الازهار البرية وعلاقتها بالحشرات وكتاب النقود وكتاب مناظر سويسرا وكتاب مناظر انكلترا وهما جيولوجيان وفصول في التاريخ الطبيعي

هذه كتبهُ العلمية اما كتبهُ الادبية فمنها كتاب فائدة الحياة وكتاب جمال الطبيعة وكتاب مسرات الحياة وهو جزءان وغير ذلك من الكتب والرسائل العلمية والادبية والسياسية . وقد طبع بعضها مراراً كثيرة وترجم الى لغات شتى فكتابهُ مسرات الحياة طبع تسعين مرة وبيع من الجزء الاول منهُ اكثر من ٢٥٠ الف نسخة ومن الجزء الثاني اكثر من ٢٠٠ الف نسخة وكتابهُ اصل العمران طبع ست مرات متوالية وقد تمَّ الطبعة السادسة منهُ سنة ١٩١١

شوکت پاشا